(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الحجر:١٩-٢٥]

الشيخ: إلى هنا، لا إله إلا الله.

ومن آياته هذه الأرض التي خلقها الله وجعلها للناس فراشًا ومهادًا وقرارًا ومدَّها بسطَها، فهي متسعة لهذه المخلوقات من الإنسان والحيوان، وإن كان يقول أهل العلم إنها كُريّة كرة أو كُريّة الشكل فهذا لا ينافي أنها مبسوطة فهي كُريّة ولكنها عظيمة واسعة، سطحها واسع، والذي يقرأ الجغرافية يدرك سعة هذه الأرض، يقولون إن ثلاثة أرباعها ماء يعني بحور هي المحيطات، وربعها اليَبَسُ الأرض التي يسكنه الإنسان والحيوان {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} فيها هذه الجبال المختلفة الأحجام والأشكال، جبال {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} سبحان الله! هذه النباتات تُثمر الأرزاق للعباد {جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا .. وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ} [البقرة:٢٢] لا إله إلا الله، اذهبوا للأسواق وانظروا ما فيها أسواق الفواكه وأسواق الخضار وأسواق الحبوب من أين هذا؟ هذه كلها أخرجها الله للعباد من الأرض، ولكن بتعليمه تعالى الإنسان الزراعة والحَرث وشَق الأرض، الناس دائبون يعملون ليل نهار في استخراج الأرزاق وفي استخراج ثمار الأرض الأشجار والزروع {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} معايش الناس، المعايش هي هذه الحبوب والثمار {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} سبحان الله، فهذه الثمار والحبوب كلها موزونة حبوب ومكيلة {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} وهي أيضًا مُقدَّرة تقدير العزيز سبحانه وتعالى بتقدير العليم الحكيم القدير {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} معايش للإنسان ومعايش للحيوان {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} [السجدة:٢٧] فتدبَّر يا عبد الله تدبَّر القرآن وتفكر في آيات الله، تدبَّر آيات الله الشرعية -وهي كلامه- وتفكر في آياته الكونية، سبحان الله!

{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ} الرياح يرسلها الله، يعني الرياح أنواع فيها الرياح المثيرة للحساب المنشئة بإذن الله للسحاب، وهي مُبشِّرات إذ جاءت الرياح التي ينشئ الله بها السحاب تكون مبشرات للناس بحصول الغيث

ومن الرياح اللواقح قال المفسرون: تُلْقِحُهُ السحاب، تُلْقِحُهُ بالماء {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} إلى قوله: {وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ} وهذا يُذكِّر الله عباده به يذكرهم بإنزال الماء، وإنزال الغيث {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا} [الواقعة:٦٨،٦٩] لو شاء الله لكان الماء النازل من السحاب ماءً مِلْحًا لا يصلح لشرب ولا سقي {أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ} [الواقعة:٦٩،٧٠] ، {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} الله المستعان، هذا منتهى العباد بعد قضاء آجالهم في هذه الدنيا ينتهي أمرهم إلى الموت ثم البعث ثم الحشر ثم الحساب ثم الجزاء {وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}

طالب: أحسن الله إليكم يا شيخ هل الأرض تدور؟

الشيخ: يقولون ذلك، لكن نحن لا نصدِّق بذلك، الذي نراه ونُحِسه والله ذكره لنا أن الشمس تجري وتطلع من المشرق وتغيب من المغرب، فالحركة حركة الشمس -والله أعلم-.

(تفسير السعدي)

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى- {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} أي: وسَّعناها سَعة يتمكن الآدميون والحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها والتناول من أرزاقها

الشيخ: السير السير فيها، لا إله إلا الله سبحان الله العظيم! سخَّر لهم وسائل التنقل من أقطار الأرض شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، أقطار، سخَّر لهم المراكب الحيوانية من الإبل والبغال والحمير والخيل، وقضوا في ذلك قرونًا وهذه وسائل تنقُّلات البشر وسيرهم، ذو القرنين ذهب لأقطار الدنيا شرقًا وغربًا، كله يسير بالوسائل المعتادة على الرواحل على أنواع الحيوان، المراكب، هو هذا العصر الأخير منذ مئة سنة وقريب كُشِف للناس يعني وسائل آليّة يتنقلون عليها في أقطار الأرض برًّا وبحرًا وجوًا، وهذه نِعَم وآيات وفتنة للبشر، نِعَم وآيات وفتنةٌ أي: ابتلاء للبشر، ثم لا ندري إلى أيّ مَدَى تبقى هذه الحضارة بوسائلها {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا} [المعارج:٦،٧] والله المستعان، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

القارئ: والتناول من أرزاقها والسكون في نواحيها.

{وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} أي: جبالًا عظامًا تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد وتثبتها أن تزول {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ}

الشيخ: الله المستعان، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، يا الله لك الحمد {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} أيش بعدها؟

القارئ: أي: نافع مُتقوِّم

طالب: مُتقوَّم

الشيخ: إي هو مُتقوَّم، صح، مُتقوَّم

القارئ: يضطر إليه العباد والبلاد ما بين نخيل وأعناب وأصناف الأشجار وأنواع النبات.

{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} من الحرث ومن الماشية ومن أنواع المكاسب والحِرَف {وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} أي: أنعمنا عليكم بعبيد وإماء وأنعام لنفعكم ومصالحكم وليس عليكم رزقها

الشيخ: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} خلق الله للعباد الحيوانات لمصالهم وتكفَّل بأرزاقها هو الذي يرزقها ما تحتاج إليه {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا} [هود:٦]

القارئ: بل خوَّلكم الله إياها وتكفل بأرزاقها، {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} أي: جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فخزائنها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته الواسعة، {وَمَا نُنزلُهُ} أي: المقدَّر من كل شيء من مطر

الشيخ: الأرزاق كلها عند الله ومن عند الله وهو الذي يُنزّلها بإنزال أسبابها كالغيث ويُنزّلها كيف شاء سبحانه وتعالى، وإن كان للعباد فيها تسبُّب، فالله الذي خلق أسبابها، هذه الأرزاق الله خلق أسبابها، خلق هذه الحبوب والثمار لها أسباب، أسبابها كثيرة ليس سببها الماء فقط، الماء والهواء والتراب والشمس كلها أسباب خلقها الله، وكذلك علَّمَ العباد علَّمَهم، **فالله هو الذي علَّم العباد وهو الذي هيَّأ الأسباب وهيَّأ الأرض بشقها وحَرثها وسقيها وجعل فيها ما شاء من البركات، ولكن المشكلة عدم التفكّر الغفلة، أكثر الخلق إنما ينظرون بعيونهم ولا ينظرون بقلوبهم، أكثر الخلق ينظرون النظر نسميه السطحي نظر سطحي بس [فقط] لا إله إلا الله، اللقمة التي ترفعها لفمك تدبر وتفكر ما هي ما الأسباب التي عملت فيها حتى وصلت إليك؟ يااه! ما الأسباب التي عملت الأسباب الطبيعية والأسباب البشرية، ما الأسباب التي عملت فيها حتى وصلت إليك؟ سبحان الله! وكلها من ورائها خالق الأسباب والمسبَّبات.**

القارئ: {وَمَا نُنزلُهُ} أي: المقدر من كل شيء من مطر وغيره، {إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} فلا يزيد على ما قدره الله ولا ينقص منه.

{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ}.

أي: وسخرنا الرياح –رياح الرحمة– تُلقح السحاب، كما يُلقح الذكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد ومواشيهم وأرضهم، ويبقى في الأرض مُدَّخرًا لحاجاتهم وضروراتهم ما هو مقتضى قدرته ورحمته، {وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} أي: لا قدرة لكم على خَزنه وادخاره، ولكن الله يخزنه لكم ويسلكه ينابيع في الأرض رحمة بكم وإحسانًا إليكم.

قال تعالى: {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} الآيات، أي: هو وحده لا شريك له الذي يحيي الخلق من العدم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا ويميتهم لآجالهم التي قدرها {وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} كقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [مريم: ٤٠] وليس ذلك بعزيز ولا ممتنع على الله فإنه تعالى يعلم المستقدمين من الخلق والمستأخرين منهم ويعلم ما تنقص الأرض منهم وما تفرق من أجزائهم، وهو الذي قدرته لا يعجزها معجز فيعيد عباده خلقًا جديدًا ويحشرهم إليه.

{إِنَّهُ حَكِيمٌ} يضع الأشياء مواضعها، ويُنزلها منازلها، ويجازي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ.